

المدب والدرويش

حكاية من الفولكلور الألباني

ترجمها إلى الفرنسية: روجر أرنالديز

ومن الفرنسية: أ.د. حامد طاهر

يحكى أن راعيًا كان يحرس قطيعه . وكان يعاني من التشدد في حراسته , لأن دباً كان يأتي كل يوم . ويلتهم من القطيع خمسة أو ستة خراف .

وذات صباح جميل , مر بالراعي درويش متجول . وبعد أن تبادلما التحية , قال الراعي :

-يوجد هنا دب شرس . لا يتركني هادئاً قط . في كل يوم , يخطف مني خمسة أو ستة خراف . ألا توجد وسيلة ضده ؟

فأجاب المدرويش :

-سأقتله في نفس المكان . ولن أطلب منك شيئاً سوى ثلاث قطع من المجين الأبيض .

أسرع الراعي فأعطاه المجين الذي طلبه . وجاء المدب كعادته ليخطف الخراف . وعندما وصل تقدم إليه المدرويش وبدأت بينهما مناقشة , لمعرفة من منهما أقوى من الآخر ، وبالمطبع ظن المدب أنه هو الأقوى . لكن المدرويش قال له :

-إنني سأسحقك مثل هذا الحجر .

وفي نفس اللحظة , أخرج من جرابه قطعة المجين الأبيض , ثم القطعة الثانية , وبدأت القطع كما لو أنها دقيق مطحون . وزادت دهشة المدب فتخير هو أيضاً حجراً أبيض من فوق الأرض , لكنه لم يقدر أن يفعل به مثلما فعل المدرويش .

عندئذ نشأت بينهما صداقة مشتركة ، وانصرفا معاً .

وبعد وقت قصير , جاع المدب , فطلب من المدرويش أن يذهب ليصطاد لهما ثوراً يأكلانه , قائلاً له إنه , في أثناء ذلك , سوف يجمع الحطب من الغابة

لكن المدرويش قال له :

-اذهب أنت لاصطياد الثور . لأنني لم أهتم باصطياد مثل تلك الفريسة الصغيرة ! إن ما يليق بي إنما هو اصطياد أسد !

وهكذا أتاحت له تلك الحيلة أن يتجنب اصطياد الثور . أما المدب فقد مر بجانب قطيع من الثيران , وبسرعة قفز على ثور وعاد به

يحمله على كتفيه.

وفي تلك الأثناء, مضى المدرويش إلى الغابة. وهذالك.. ماذا فعل ؟

تناول حبلاً طويلاً, وربط به كل أشجار الغابة, كما لو أنه سيقفلها بجذبة واحدة.

وعندما عاد المدب زادي على صديقه المدرويش. فلم يرد, فمضى المدب إلى الغابة, وشاهد ما أعده لاقتلاع كل أشجار الغابة بجذبة واحدة. زادت دهشة المدب من صديقه. وقال لنفسه: "إن هذا الرجل أقوى مني ألف مرة" ثم قال بعد ذلك بصوت عال :

- ما ستفعل بكل هذه الأشجار التي ستقتلعها ؟ خذ منها فقط فرعاً أو فرعين, وعد..

فأجاب المدرويش:

- أنا لست الرجل الذي يأخذ قطعتين صغيرتين من الغابة لكنك أنت الذي يفعل ذلك.

وعندئذ جذب المدب فرعين كبيرين من شجرة. ثم عادا إلى مكان الثور, وراح المدب يقطعه.

لكن كان ينبغي أن يُطبخ الثور. فقال المدرويش:

- سوف أذهب لإحضار الماء, فأبق هنا لتقليب الخشب بدلاً من أن تتعب نفسك (قال هذا لأنه لم يكن بقادر على أن يقلب ثوراً ضخماً المجتة).

ثم أخذ وهاءً, ومضى به إلى نبع يفيض من صخرة. وبعد أن ملأه, وضعه على كتفه, لكنه لم يستطع أن يحتفظ به طويلاً, فتركه يسقط على الأرض, قبل أن يتهاوى من الإعياء .

انتظر المذب ساعة , ساعتين .. وأخيراً اتجه إلى المنبع , الذي ذهب إليه المرويش . وعندما وصل قال له :

- لماذا تأخرت كثيراً هكذا ؟

فأجاب المذب :

- كنت أفكر في طريقة لإحضار المنبع من الصخرة التي يخرج منها ! ومع الأسف لم أستطع إحضاره كما ينبغي . وقد وجدت أن رجوعي وحدي بوءاء يُخلّني . أما أنت , فيمكنك حمله .

حمل المذب البوءاء على كتفه , ثم عاد الاثنان .

وبينما هما سائران , قال المذب للمرويش :

- هيا بنا نتصارع معاً لبعض الوقت ؟

فصاح المرويش :

- انج بنفسك مني .. لأنني لا أرغب في أن أسبب لك أذى

- ومع ذلك , انتهى بهما الأمر إلى أن يتصارعاً ..

ضغط المذب على المرويش بقوة جعلت عيني المرويش تكادان تخرجان من رأسه .. وعندما شاهد المذب وجهه المنتفخ , وعينييه البارزتين ,
اللتين جحظتا بشدة , سأله

:

-لماذا أصبحت هكذا ؟

فأجاب المدرويش:

-لأنني لا أعرف بالضبط أين أقذف بك .. من هنا فأمرزقك قطعاً , أم من هنا , وهذا أسوأ ..

فقال المدب:

-اسمح لي أن أطلب عفوك .. وتركه.

وبعد وقت قصير , وصلا إلى موضع الثور المطبوخ وأخذوا يأكلان . وبعد قطعتين صغيرتين من لحم الثور , توقف الدرويش عن الأكل فسأله المدب:

-لماذا توقفت ؟

-لم تعد لي حاجة للطعام , بعد أكل عدد من الخراف التي أكلتها وأنا ذاهب لحمل الماء (وكان الدرويش أضعف من أن يلمس خروفاً واحداً) وبعد الطعام , اقترح المدب على الدرويش أن يصحبه إلى منزله كصديق عزيز . وأخذه إلى المنزل .

وما أن وصلا , حتى طلب المدب من أمه وأخته أن يشحذا له الفأس , لأنه صمم على قتل الصديق الذي أحضره , وهكذا يتخلص من الإنسان الذي اكتشف أنه أقوى منه . وما أن سمعت أخت المدب (وكانت دبة طيبة) هذا الكلام , حتى أسرعته إلى الدرويش , وحكت له كل شيء .

جاء الليل . وجلس المدب على المائدة . وأكلوا جيداً , ثم تمددوا على الأرض . وناموا .

وبالمطبع تظاهر الدرويش بالذوم , في المكان الذي اختاره أمام المدب , لكنه ما لبث أن اختبأ خلف "بردعة" حمار كانت ملقاة في المكان .
وحوالي منتصف الليل , نهض المدب , وتناول فأسه , ثم أهوى به على جسد الدرويش ثلاث أو أربع مرات . وبعد أن اعتقد أنه انهرس تماماً , عاد إلى مكانه , ونام .

قبل طلوع الصباح , نهض المدب , وذهب إلى الغابة .

وعند عودته ماذا رأي ؟ الدرويش ! وما أن رآه حتى راح يفرّك عينيه , غير مصدق نفسه . ومع ذلك سأله :

- كيف أمضى ليلته ؟

فأجابه الدرويش :

- حسنًا جدًا .. ما عدا لسعات برغوشين أو ثلاثة قرب منتصف الليل !

صدم المدب من الدهشة , حيث أن ضربات فأسه القوية لم تبدُ للدرويش إلّا كلسعات البرغوث !

وفي حالة من عدم التماسك , اعترف المدب له بكل شيء , وتوسل إليه لكي يخبره كيف يصبح قويًا مثله ؟

أجاب الدرويش :

- لا شيء أسهل من ذلك . وما عليك إلّا أن تبحث لي عن قرية لبن .

ذهب المدب , وعاد بقرية لبن . فأشعل الدرويش النار , ووضع القدر عليها بعد أن ملأها باللبن . وعندما بدأت تغلي , قال الدرويش للمدب :

-ضع رأسك هنا.. حتى تُصبح قويًّا!

وضع المدب رأسه لأول مرة , فاحترق . ثم وضعها لثاني مرة . وفي ثالث مرة , دفعها المدرويش بقوة ..

وهكذا تركه يطبخ على نار مكمورة!